الحقول المعجمية لعناصر الشعر الولائي في ما قيل من الشعر في الإمام الكاظم عليه السلام

الدكتور حسين مهتدي
الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس ـ بوشهر ـ إيران
mohtadi@pgu.ac.ir

Lexical fields for elements of wali poetry in what was said of poetry by Imam al-Kazim (PBUH)

Hossein mohtadi
Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature,
Persian Gulf University, Bushehr, Iran

الملخص:-

الحقول المعجمية تتطرق إلى دراسة جمع كلمات اللغة ووضعها في مجموعات تختص كل مجموعة منها بموضوع واحد. نظرية الحقل المعجمي باب من أبواب علم الدلالة المعرفي وهو من الدراسات اللغوية الحديثة. تهدف هذه المقالة إلى تحديد الحقول المعجميّة لعناصر الشعر الولائي في ما قيل من الشعر في الإمام الكاظم عليه السلام. تتكوّن هذه المقالة من مقدمة أبرزنا فيها أهميّة الشعر الولائي ودوافعه، ثمّ في إطار نظري، شرحنا مفهوم الحقل المعجمي وعناصر الشعر الولائي ثمّ قمنا بدراسة وتحليل أهمّ هذه الحقول المعجميّة التي استخدمها الشعراء الولائيون في أشعارهم في الإمام الكاظم عليه السلام. الباحث في هذا البحث بصدد الإجابة عن هذا السؤال الرئيس: ما هي أنواع الحقول المعجمية لعناصر الشعر الولائي في ما قيل من الشعر في الإمام الكاظم عليه السلام؟ أهمّ الحقول المعجميّة التي استخدمها الشعراء الولائيون في أشعارهم حول الإمام الكاظم عليه السلام يدور حول خمسة حقول: حقل المديح، حقل الرثاء، حقل الهجاء، حقل طلب الشفاعة، والحقل السياسي. وكلّ منها ينقسم إلى فروع متعدّدة. يقوم الباحث بتبيين هذه الحقول المعجميّة ثمّ يشير إلى أهم المفردات والألفاظ الدالة على كلّ هذه الحقول المعجميّة. من أهم معطيات هذا البحث هو أنّ حقل الرثاء احتلّ المساحة الأكبر في الشعر الولائي حيث لشهادة الإمام الكاظم عليه السلام شأن كبير فيه، وجاء هذا الحقل مليئًا بألفاظ الحزن والجراح والألم. هذه المفردات تكشف عن عمق الجرح والألم الذي يعاني منه الشعراء الولائيون إزاء ما مرّ بالإمام الكاظم عليه السلام في سجون خلفاء العباسيين. ثمّ يأتي حقل الهجاء ثمّ حقل طلب الشفاء، ثمّ حقل المديح، ثمّ الحقل السياسي. اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي والتحليلي في استقراء الأبيات التي تدلّ على الحقول المعجميّة لعناصر الشعر الولائي في ما قيل من الشعر في الإمام الكاظم عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: الأدب الملتزم، الشعر الولائي، الحقول المعجمية، الإمام الكاظم عليه السلام.

Abstract:-

The lexical fields deal with the study of collecting the words of a language and placing them in groups, each of which deals with a single topic. The lexical field theory is one of the chapters of cognitive semantics, and it is one of the modern linguistic studies. This article aims to identify the lexical fields for the elements of wali poetry in what was said of the poetry of Imam al-Kazim (peace be upon him). This article consists of an introduction in which we highlight the importance of Wala poetry and its motives, then, in a theoretical framework, we explained the concept of the lexical field and the elements of pro-state poetry, then we studied and analyzed the most important of these lexical fields that were used by the wali poets in their poetry in Imam al-Kadhim (pbuh). The researcher in this paper is about to answer this main question: What are the types of lexical fields for the elements of wali poetry in what was said of the poetry of Imam al-Kazim (pbuh)? The most important lexical fields that Wali poets used in their poems about Imam al-Kadhim (peace be upon him) revolve around five fields: the field of praise, the field of lamentation, the field of satire, the field of seeking intercession, and the political field. And each of them is divided into multiple branches. The researcher demonstrates these lexical fields, then points to the most important vocabulary and expressions indicating all these lexical fields. One of the most important data of this research is that the field of mourning occupied the largest area in wali poetry, where the testimony of Imam al-Kazim (PBUH) is of great importance in it, and this field is full of words of grief, wounds and pain. This vocabulary reveals the depth of the wound and the pain that the Wali poets suffer from what happened to Imam Kazim (pbuh) in the prisons of the Abbasid caliphs. Then comes the satire field, then the request for healing field, then the praise field, then the political field. In his study, the researcher relied on the descriptive and analytical method in extrapolating the verses that indicate the lexical fields of the elements of wali poetry in what was said of the poetry of Imam al-Kadhim (peace be upon him).

Key words: committed literature, wali poetry, lexical fields, Imam Al-Kazim (PBUH).

المقدمة:

حظي أهل البيت عليهم السلام بنصيب وافر من الشعر لم يحظ به أحد سواهم من رموز التاريخ وأعلامه على كثرة الممدوحين والمعطين في هذا السبيل. فإنّا نري سيلًا دافقًا من القصائد في دنيا الأدب ولم تكل الأفواه والأقلام عن التغنّي بأمجادهم وتسجيل وقائع حياتهم وفي قبال ذلك لم يعطوا لأجل أن يمدحوا كما فعل غيرهم من الخلفاء والولاة والقضاة الذين مُدحوا رغبة في نوالهم أو خوفًا من عقابهم ولم يمدحهم الشعراء لأجل ما في أيديهم كما فعل شعراء غيرهم. وقد امتدت مساحة شعرهم حتى أصبحت باباً واسعًا من أبواب الأدب وغرضًا مشهورًا من أغراضه، فحقًا لزامًا أن يدرس دراسة مستقلة منفصلة تستوعب ظواهره المتعددة الكثيرة. إنّ قيمة الولاية في خطّ الرسالة والإمامة أنّها تلاحق الإنسان في مفاهيمه وحركيته لتمنحه الوضوح في الخطّ والسداد في الرأي والسلامة في الحياة والاستقامة في الطريق والرعاية في الحركة في خطواته السائرة إلى الله تعالى. فلذلك فإنّ الارتباط بها يحمي الإنسان من الانحراف ويقوده إلى الصراط المستقيم ويمنحه الحنان الذي يتخفّف فيه أثقال الحياة التي تُثقِل روحه وترهق نفسه. فيحسُّ معها بالحاجة إلى القيادة التي تربطه بكلمات الله تعالى وتوحي له بالحقيقة في كلّ متاهات الشبهات. إنّ الولاية ليست حالة عاطفية تربط الإنسان بالشخص في عملية حبّ ينبض بها القلب وتنفح فيها الروح ويخفق فيها الشعور، تمامًا كما هو الحبّ الذاتي عندما يحبّ إنسان إنسانًا فيستغرق في صفاته الذاتية بعيدا عن خطّه الفكريّ أو العملي في حركة الرسالة. إنّ أهل البيت عليهم السلام هم الإسلام الحركيّ الأصيل الذي جسّده الله فيهم سيرةً سلوكا ومنهجًا وقولًا لهذا الشعراء الولائيون ينتمون إلى هذه الذرية التي أذهب الله عنها الرجس وطهّرها تطهيراً وهم قد رأوا في سلوك الأئمّة وحياتهم ونهجهم امتداداً لرسول الله صلى الله عليه وآله. بناءًا على هذا إنّ نظم المراثي وإنشاد القصائد في مناقب أهل بيت عليهم السلام منذ صدر الإسلام وإلى يومنا الحاضر هو دأب محبي وأتباع أهل البيت عليهم السلام من الشعراء المولعين بذكر فضائلهم ومكارمهم ومناقبهم. لقد استطاع الشعراء حقاً أن يخلدوا بمدائحهم ومراثيهم ذكر ائمة أهل البيت عليهم السلام تلك المدائح والمراثي التي سجلت المكارم المحمدية والمناقب العلوية وفضائل الأئمة مشاعل مضيئة في ظلمات التاريخ وهي تفيض بالدفء مخلدة ذكرهم الطيب وسيرتهم العطرة عليهم السلام وهذه الاضمامة من

الشعر تمثل لوعة الحب لشعراء شاركوا في إحياء ذكرى الإمام الكاظم عليه السلام من خلال قصائدهم التي انشدوها.

الإطار النظري للبحث

يتّفق معظم الباحثين على تعريف علم الدلالة بأنّه العلم الذي يعني بدراسة المعنى، أو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى أو ((ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفّرها في الرمز حتى يكون قادراعلي حمل المعنى)) (عمر، ١٩٩٨م: ١١) ويعتبر المستوى الدلالي أحد أهم مستويات علم اللغة، ويعني هذا المستوى بدراسة معني الجمل والعبارات في النص وهو معني يتجاوز معني المفردات، ومن المستويات التي مهّدت الطريق لظهور علم الدلالة: المستوى الصوتي، الفونولوجي، والنحوي، والصرفي، والدلالي (عيسى، ٢٠٠٨ م: ١٣). نظرية الحقول المعجمية تقوم على أساس جمع كلمات اللغة ووضعها في مجموعات تختصّ كلّ مجموعة منها بمجال معين وترتبط معاني الكلمات فتوضح تحت مصطلح عام يجمع بينها فدلالة الكلمة لا تتحدّد من خلال علاقاتها بالكلمات في المجموعة الدلالية التي تنتمي إليها (الضامن، ١٩٨٩ م: ٧٥). في اللغة الحقل: جمعه الحقول و بمعنى الأرض الفضاء الطيبة يزرَعُ فيها والزرع مادام أخضر، وحقل البترول: المكان الذي يستنبط منه البترول للاستغلال وحقل التجارب: المكان الذي تجري فيه. (مصطفي، ٢٠٠٤ م: ذيل مادة ح ق ل) وأمّا في الاصطلاح ((الحقل المعجمي أو الدلالي هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها)) (التونجي، ٢٠٠٣م: ٤٦٨). يعرفه جون ليونز بقوله: ((فإنّه مجموعة جزئية لمفردات اللغة وتري هذه النظرية أنّه كي نفهم معني الكلمة يجب أن نفهم كذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليا ويذكر ليونز أنّه لابدّ من دراسة العلاقة بين المفردات داخل الحق)) (البهنساوي، ٢٠٠٩م: ٨٥) و في الحقيقة أنّ الحقل المعجمي يتضمن مجموعة من مفردات اللغة قد تكون كثيرة أو قليلة وتكون متقاربة الدلالية يجمعها مفهوم عام. ظهرت نظرية الحقول المعجمية عند العرب في شكل رسائل صغيرة فمنها من اقتصرت على مجال دلالي واحد ومنها من شملت أكثر من مجال دلالي. للحقول المعجمية أربعة أنواع: ١- الموجودات: كتاب، دفتر، كرسي، سيارة، شجرة، جبل، بحر...؛ ٢- الأحداث بلغة علم الدلالة أو الأفعال بلغة علم النحو: جَلَسَ، رَكَضَ، مَشَي،

قامَ، كتَبَ.....٣- المجرّدات بلغة علم الدلالة أو المصادر بلغة علم النحو: جلوس، مشي، تفكير، قراءة، كتابة.....٤- الصفات: بعيد، قريب، ذكي، كريم..... (الخولي، ٢٠٠١م: ١٧٩). إنّ هذه التصنيفات الأربعة ليست نهائية وليست فوق النقاش أو الإعتراض بل هي مثار تساؤلات عديدة. وقد وجدوا أن حجم الحقول يختلف من مجال إلى مجال، وأن أكبر مجال في أي لغة ذلك الذي يحوي الكائنات والأشياء، ويليه الأحداث، وأقل من ذلك المجردات. لقد أظهرت دراسة الحقول المعجمية فوائد قيمة ونتائج هامة ومنها: الكشف عن العلاقات وأوجه الشبه والخلاف بين الكلمات التي تنضوي تحت حقل معين. والعلاقة بينها وبين المصطلح العام الذي يجمعها.فهذه النظرية توضح العلاقات بين الكلمات، وتعالج المجموعات المترابطة فتظهر أوجه التقابل والتشابه في الملامح داخل المجموعة.إن توزيع الكلمات أو الألفاظ على الحقول يكشف لنا عن الفجوات المعجمية داخل الحقل. فكثيراً ما نجد كلمات ليست لها كلمة رئيسية تجمعها. للشعر الولائي عناصر متعددة ومنها المديح، الرثاء، والهجاء، طلب الشفاعة، والسياسي.

أسئلة البحث:

في هذه المقالة الّتي تستفيد مِن المنهج الوصفي - التحليلي نسعي للإجابة عن هذا السؤال: ما هي أنواع الحقول المعجمية في ما قيل في الإمام الكاظم عليه السلام؟ وكيف يتم تصنيف الكلمات حسب حقولها المعجمية؟ ما هو أبرز المحطات التي توقفوا هؤلاء الشعراء عندها في حياة الإمام الكاظم عليه السلام؟ وهل كانت ولاية الشعراء الولائيين للإمام الكاظم عليه السلام ولاية عاطفية وجدانية أو ولاية موقف كما ذكروا؟ بما أنّ ضيق مساحة البحث لا يتيح لنا الإلمام بكافة جوانب نظرية الحقول المعجمية اقتصرنا مسار البحث على الحقول المعجمية الأربعة كالموجودات، والأحداث، والمجرّدات، والصفات، ثمّ قمنا بدراسة عناصر الشعر الولائي في ما قيل من الشعر في الإمام الكاظم عليه السلام ضمن حقولها المعجمية.

خلفية البحث:

فيما يتعلّق بالدارسات السابقة لما قيل من الشعر في الإمام الكاظم عليه السلام يجدر بنا القول آنّ الشعراء الكثيرين أنشدوا أشعاراً في الإمام الكاظم عليه السلام وجمع إسماعيل الحاج عبدالرحيم الخفّاف هذه الأشعار في كتابه المسمّي بـ ((الإمام الكاظم وذراريه في التراث

الشعري والتاريخي والفقهي)) دون أي تحليل أو دراسة أدبية ولم يتناول باحث آخر هذه الأشعار من الناحية الأدبية. لهذا هذا المقال هو أوّل دراسة تُكتب في موضوع الحقول المعجمية في ما قيل من الشعر في الإمام الكاظم عليه السلام. وأخيراً نرجو أن تكشف هذه الدراسة آفاقًا جديدةً في الموضوع وتضعها بين يدي القرّاء الأعزّاء.

١) حقل المديح

يشغل المديح كمًّا هائلًا من الشعر الولائي بشكل عامّ، لا غرابة في ذلك، فإنّ المدح هو انسياب العاطفة المشوبة تجاه الممدوح مندفعة بقوّة تعدّد فضائله ومناقبه وأوصافه، فما ترى العاطفة شمائل أهل البيت عليهم السلام التي تميزتهم عن سائر الناس حتى ترى أمامها المَعين الصافي، والمنهل العذب، فتنهل منها ما شاءت لها قدرتها أن تنهل. هذا ما نلاحظه عندما نقرأ شعر المديح في أهل البيت عليهم السلام فإنّه شعر ما أوحاه الخيال بل أوحاه الواقع للعاطفة فغنّته لحنًا سماويا صادق اللغة، واثق الخطي يرفده القرآن الكريم والسنّة النبوية والواقع التاريخيّ، فلا تجد فيه أوسمة جوفاء خالية عن أيّ معني من معاني الصدق و ألقابًا سمجة حاكتها كفّ الخيال. وثِق بأنك حينما تقرأ هذا اللون من الشعر فإنّما تشاهد فيلمًا وثائقيًّا قد سُجّلت فيه الصور المتحركة التي عاشها الأئمّة في واقعهم العملي قولًا وفعلًا ولا يحتاج شاعرهم إلّا إلى دقّة في الملاحظة وقوّة في العرض و ذوق في الاختيار (سنبل،٢٠٠٣ م: ٢٠٣). قد سيطرت شخصية الإمام الكاظم عليه السلام على عواطف الشعراء بما تحويه من كريم الخصال والفعال، فهو الكريم في فقره، والشجاع في رقّته، والعدل في حكمه، والزاهد في حطام الدنيا الزائل، فتغنّوا بها وسجّلوها للتاريخ والحقيقة. فهنا نذكر أهم ما أنشد الشعراء في مدح الإمام الكاظم عليه السلام. مدح على بن عيسى الأربلي (المتوفى ٦٩٢ هـ) الإمام عليه السلام ويقول:

إمـــام حـــقّ يقتضـــى عدلـــه	لـــو ســـلم الحكـــم الى الحـــاكم
إفاضـــة العـــدل وبـــذل النـــدى	والكـــفّ مـــن عاديـــة الظـــالم
في العلـــم بحـــر زاخـــر مـــدّه	وفي الـــوغى امضـــى مـــن المصـــارم
يعفـــو عـــن الجـــاني ويـــولي النـــدى	ويحمـــل الغـــرم عـــن الغـــارم

(الإربلي، ١٤٢١ هـ: ٣/١٢٣٣)

إذا دقّقنا في هذه الأبيات سنجد كمًّا هائلًا من الصفات الحميدة للإمام الكاظم عليه السلام يستهل الشاعر أبياته بالمبتدأ (إمام) المضاف إلى (حقّ) ليشير إلى مكانة الإمام عليه السلام وهو إمام حقّ امتداد للرسالة وحفظ للنبيّ وهذا لا ريب فيه. ولعلّ من أهم المزايا والشمائل هي العدل وهو الميزان الذي أمر الله ورسوله به وإقامته بين الخلق قولًا وفعلًا وتتوافر هذه الصفة في الإمام الكاظم عليه السلام. فالإمام وبعد تعاقب الدهور يعد الرمز للعدل الإنساني فهو والعدل مقترنان ليس بالإمكان الفصل بينهما. ويتطرق الشاعر في هذه الأبيات إلى الصفات الأخرى للإمام عليه السلام من وجوده وعلمه وشجاعته وعفوه وشبّه الشاعر علم الإمام الكاظم عليه السلام بالبحر لا شاطئ له. وجاء الشاعر بالفعلان المضارعان (يعفو، يحمل) وهذان الفعلان يشيران إلى الاستمرار التجددي.

أشار الشاعر محمّد حسين الأصفهانيّ النجفي (١٢٩٦ هـ ـ ١٣٦١ هـ) إلى سموّ المنزلة التي كانت للإمام الكاظم عليه السلام وينشد:

فإنّه مبدأ كلّ نور	بل هو منتهاه في الظّهور
نور تعالى شأنه عن حدّ	وعزّ في نعوته عن عدّ
أبو العقول والنّفوس النيّرة	أمّ الكتاب وابن خير الخيرة
بل هو نور كعبة التّوحيد	وقبلة الشّاهد في الشّهود
نور سماء الذّات والصّفات	به حياة عالم الحياة
فالق صبح الأزل المنير	به استنار كلّ مستنير

(الأصفهاني، ١٤١٥: ٨٧)

لقد ارتبط الإمام عليه السلام بالله تعالى ارتباطه برسالية الإسلام وروحية الإيمان فإذا به نور من أنوار الله تعالى يبدّد ظلمات الحياة. يهيمن على هذا النص حقل دلالي يوحي (بالقداسة والعظمة) ولقد جعل الشاعر كلماته تنتمي إلى هذا الحقل (نور تعالى، النفوس النيرة، أبو العقول، نور كعبة التوحيد، قبلة الشاهد، نور السماء، فالق صبح الأزل). إذا أنعمنا النّظر في هذا الحقل، لنجد أنّه يدلّ على قداسة وعظمة الإمام الكاظم عليه السلام وتتكرر كلمة (نور) في هذه الأبيات وهذه تدلّ على أن الإمام عليه السلام ليس شخصًا عاديا بل يكون نوره من الله تعالى وبما أنّ الإمام الكاظم عليه السلام هو السبب الموصول بالله تعالى يتجلّى نوره في الآفاق

لهذا نجد نوره في الكعبة والسماوات السبع وما ينجلي الصبح إلّا بنوره. جمع السيّد محمّد الشيرازي (١٣٤٧ هـ ـ ١٤٢٤ هـ) باقة من المناقب والصفات الحميدة للإمام الكاظم عليه السلام:

أهـــدي مـــديحي للإمـــام العـــالم ... اعـــني زعـــيم الحـــق موســـى الكـــاظم
ذا الحلـــم والفضـــل المؤثـــل والنـــهى ... والعلـــم والشـــرف الرفيـــع القـــائم
آبـــاؤه الاعـــلام اطـــواد التقـــى ... وبنـــوه اصـــحاب العلـــى ومـــراحم
في فضـــله مثـــل الـــنبي محمّـــد ... وشـــبيه حيـــدر في جمـــاع مكـــارم
وليشـــع مـــن انـــواره نحـــو الســـما ... نـــور كمـــوج الأبحـــر المـــتلاطم
في علمـــه الزخـــار كالمـــاء لا ... يـــدري مـــداه او كســـيل عـــارم

(الخفاف، لا تا: ٣٧٣)

لا يمكن إحصاء مناقب الإمام الكاظم عليه السلام كلّها ولا يستطيع أحد أن يحصي تفصيله وكلّ شاعر أشار إلى جانب من جوانب هذه الصفات الحميدة وفي هذه الأبيات أشار السيد محمّد الشيرازي إلى هذه الصفات (الحلم، الفضل، النهي، العلم، الشرفف مكانة آبائه وأبنائه، نوره أخلاقه) وللإمام عليه السلام في كلّ هذه الصفات مكانة مرموقة لا مثيل له وإذا يريد شخص أن يذكر مثيلا له وفلابدّ أن يشبه أجداده لهذا شبّه الشاعر فضل الإمام عليه السلام بفضل الرسول صلى الله عليه وآله وشبّهه بجدّه الإمام على عليه السلام في المكارم جميعها. شبّه الشاعر أنوار الإمام عليه السلام بموج البحر واستخدم الشاعر (الأنوار) بشكل الجمع وهذا يدلّ على أنّ للإمام ليس نورا واحدا بل له أنوار وكلّ شخص يستفيد من هذه الأنوار بمقدرته. وشبّه علمه بالماء العميق والسيل العارم. ولكن لماذا شبّه الشاعر علم الإمام عليه السلام بالماء العميق والسيل العارم؟ لأنّ الإمام عليه السلام ليس إنسانًا عاديا بل هو إمام الناس وعلمه علم أزلي علّمه الله تعالى كلّ شيء. يقول الشاعر عباس الترجمان (١٣٤٤ هـ ١٤٢٩ هـ) ذاكرًا السرّ الإلهي المستودع في وجود الإمام الكاظم عليه السلام:

أنـــت ســـرّ الله فيـــك الله قـــد أودع نـــوراً ... منـــه آفـــاق علـــوم الكـــون طـــراً تتنـــوّر
ســـجد الأمـــلاك للـــرحمن لمّـــا أن رأوه ... لاح فيـــه وجـــه أبينـــا صـــفوة الله وأســـفر
وبـــه نـــار خليـــل الله بـــرداً وســـلاماً ... أصـــبحت لمّـــا تغشـــاها مروجـــاً تتعطّـــر

وبــه أخــرج موســى يــده بيضــاء حتّــى ... بعصـا موسـى اثنتـا عشـرة عينـاً تتفجّـر
وبــه الله لــداود ألان الصــلب لطفــاً ... نسـج الأدرع للحـرب تقـي البأسـاء والشـر
وبــه نــال ســليمان عظــيم الملــك حتّــى ... ســخّر الجــنّ وللطــير ولــلأرواح ســخّر
وبــه كلّــم عيســى النــاس في المهــد صــبياً ... وبــه يــنفخ في الميــت فيحييــه وينشــر

(المصدر نفسه، ٤٤٠)

إنّ الألفاظ التي ذكرها الشاعر تشيع مناخًا من الهناء والفرح والطمأنينة، والأمل. الإمام الكاظم عليه السلام هو إبن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت كلّهم السبب الموصول بالله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله هو سرّ الله تعالى وينتقل هذا السرّ من إمام إلى إمام حتى وصل إلى الإمام الكاظم عليه السلام ولهذا الشاعر يقول أنّ الإمام الكاظم عليه السلام يكون سرّ الله تعالى والآفاق تتنوّر بنوره أنّه هو نور الله تعالى في الأرض ووجهه كوجه الرسول صلى الله عليه وآله أي في وجوده نفس الصفات التي توجد في وجود الرسول صلى الله عليه وآله لهذا الملائكة سجدوا لله تعالى لّما رأوه. وما كانت معجزات الأنبياء السابقين كإبراهيم، وموسي، وعيسي، وداود، وسليمان إلّا بسبب أهل البيت ومنهم هو الإمام الكاظم عليه السلام وتكرار كلمة (به) يدلّ على شأن وعظمة الإمام الكاظم عليه السلام عند الله تعالى. الشاعر عامر عزيز الأنباري (المتولد ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣ م) يمدح الإمام الكاظم عليه السلام وهو في سجن هارون الرشيد:

فالليــل يقضــى في الصــلاة ومثلــه ... حــال النــهار تعبّــدٌ وصــيامُ
والــذّكر والتّســبيح وهــو مكبــلٌ ... والنــاس غرقــى في الهَــوى ونيــامُ

(المصدر نفسه، ٤٦٣)

عاش الإمام عليه السلام حياة مفعمة بالإمان والطهر والرسالة ويقتبس نور الهدي في ابتهال دعائه وسموّ سجوده لله تعالى فهو لم يتنفّس سوي طاعة الله تعالى ورضاه. السؤال الذي يطرح هنا هو كيف قضي الإمام الكاظم عليه السلام أيامه في السجن؟ الشاعر يجيب عن هذا السؤال ويقول الإمام عليه السلام كان يقوم بالصلاة في الليل والصيام والتعبّد في النهار وكان دائم الذكر والتسبيح. إنّ هذا النص يتنازعه حقلان دلاليان حقل التعبّد وحقل الغفلة وقد تقاسمت الكلمات الحقلين الدلاليين بينما أوحت الألفاظ (الصلاة، الصيام، الذكر، التسبيح) بحالة التعبّد في الإمام عليه السلام أطلّت الألفاظ المقابلة لتشيع جوًّا من الغفلة في الناس

وهي (الهوي، والنيام). الشيخ مهدي المرياتي (١٢٨٧ هـ - ١٣٤٣ هـ) لكي يمدح الإمام عليه السلام يشير إلى مكانة أرض التي دُفن فيها الإمام عليه السلام:

حـــرمٌ منيـــع لم يلُـــذ فيـــه امـــرؤ ... يومـــاً فـــآب بخيبـــة مأيوســـا

هـــو جنّـــة الفـــردوس لكـــن لا تـــرى ... فيـــه ســـوى شـــجر الهـــدى مغروســـا

هـــو بيـــت القـــدس لا تحـــسّ برحبـــه ... إلّـــا لصـــوت المـــتّقين حسيســـا

(المصدر نفسه، ٣٢٠)

يهيمن على النص حقل دلالي يوحي بالمكانة العظمية لحرم الإمام عليه السلام وهذا الحرم ليس حرمًا عاديا بل يكون حرمًا رفيعًا وتهمي إليه الأفئدة ولم يلذ فيه أحدٌ إلّا يستجيب دعواته وآماله وهذا الحرم جنّة الفرودوس وما غُرس فيها إلّا شجر الهدي وهو بيت القدس ولا يسمع منه إلّا صوت المتّقين.

ويمكن تحديد الحقول المعجمية الّتي استقي منها الشعراء الولائيون مفرداتهم حسب الترتيب التالي:

حقل الموجودات: محمّد، حيدر، خليل الله، موسى، عيسى، داود، سليمان، الله، السماء، البحر، الماء، أمّ الكتاب، القبلة، جنة الفردوس، بيت المقدس، شجر، الكعبة، النور.

حقل الأحداث: تتنور، استنار، يعفو، يحمل، أودع، لَيشع، أضاءت، يولي.

حقل المجرّدات: العدل، الندي، العلم، التعبّد، التسبيح، الذكر، الحقّ، الصلاة، الصيام، التوحيد، الحلم، الفضل، الشرف.

حقل الصفات: أمضي، الكاظم، أبوالعقول، سرّ الله، أطواد التقي، منيع، المكارم، المراحم، الزعيم، العلي، مستودع السرّ، النيّرة.

مِن الجليّ أنّ هذه الحقول تدخل أغلبيتها ضمن صفات الإمام الكاظم عليه السلام وشمائله النفسية كـ (العدل، والندي، الحلم، الفضل، الشرف) وأنّها تتداخل عبر كثير مِن المفردات ومن ناحية أخرى تطرّق الشعراء الولائيون إلى حالة الإمام عليه السلام المعنوية في سجون خلفاء العباسيين ويقضي الإمام عليه السلام أيامه ولياليه في التعبّد والتسبيح، والذكر، الصلاة، والصيام وهو كان مكبّلًا بالسلاسل ولم يستسلم ما كان حيا. وهناك الأفعال المضارع العديدة في

حقل المديح كـ(تتنور، يعفو، يحمل، يولي...) وهذه الأفعال تدلّ على الاستمرار التجددي أي أنّ هذه الصفات الجليلة ليست مقتصرة على أيّام حياته بل مستمرة وكلّ إنسان طلب من الإمام عليه السلام شيئا فهو يعطيه طلبه بفضله وجوده. تهيمن كلمة (النور) على أشعار الشعراء الولائيين أكثر من الكلمات الأخرى وهذا يدلّ على أنّ الأئمّة عليهم السلام كلّهم كأنوار منبثقة من نور الله تعالى ومَن تبعهم اهتدي ومَن عصي عن أوامرهم فقد ضَلّ. ومن الجدير بالذكر أنّنا لانري غزل جسدي في حقل المديح وهؤلاء الشعراء لم يمدحوا الإمام عليه السلام مدحا جسديا وظاهريا بل تدور مدائحهم حول أوصافه الباطنية وهذا يميزه مدائحهم عن مدائح سائر الشعراء الذين يمدحون السلاطين والملوك.

أهم الألفاظ والمفردات ومتعلقاتها الدالة على المديح:

الإمام	العدل	الندى	العلم	البحر	أمضى	يعفو	يحمل	نور السماء	الكعبة	التوحيد
أم الكتاب	القبلة	الحلم	الفضل	النّهى	الزعيم	الشرف	العلى	المراحم	المكارم	أضاءت
الماء	تتنور	استنار	التعبّد	الصيام	الذكر	التسبيح	حرم منيع	جنة الفردوس	بيت المقدس	شجر الهدى
فالق الصبح	أودع	ليشع	العالَم	الحق	محمّد	حيدر	خليل الله	موسى	عيسى	داود
أطواد التقى	سليمان	الكاظم	أبو العقول	يولي	سرّالله	مستودع السرّ	نور			

٢) حقل الرثاء

لعلّ شعر الرثاء أقدم أنواع الشعر في حياة الإنسان فإنّ الإنسان بطبيعته عندما يتألّم أو يحزن أو عندما يصاب بمكروه يبقي يحرك شفتيه ويتمتم بكلمات تعبّر عن أحاسيسه وآلامه وإن لم يكن لها معني مفهوم وعندما يفجع بعزيز عليه فقد اجتمعت عليه الأمور الثلاثة، المصاب، والحزن، والألم فتراه يصرح من أعماق نفسه وبدون شعور أحيانًا ويسترسل مع عاطفته المحروقة فإن كان شاعرًا -والشعر لغة العواطف- فسوف تراه يترجم تلك الأحاسيس شعرًا من أصدق الشعر وأعذبه. ومن أوثق علاقات الإنسان في حياته علاقته بعقيدته وبدينه وبزعمائه الدينيين فتراه يبذل النفس والنفيس في سبيل إعلاء كلمة دينه أو بقاء زعيمه الدينيّ والروحيّ. وإنّ علاقة الشيعة بمعتقدهم وبزعمائهم الروحيّين وهم النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام أقوي وأشدّ من علاقة الأب بابنه والأمّ بوليدها الوحيد والتاريخ كلّه شاهد على ذلك (سنبل، ٢٠٠٣م: ٢١١). يحتلّ الرثاء في الشعر الولائي مساحة كبيرة منه ويكون لشهادة الإمام الكاظم عليه السلام شأن كبير في الشعر الولائي. يصف الشيخ صالح الكوّاز (١٢٣٣ هـ - ١٢٩٠ هـ) الآلام التي عاشها الإمام عليه السلام:

قد استعذبوا التعذيب موسى بن جعفر ... ابو الحسن المسموم مستودع السرّ
وما زال منها في السجون رهينة ... يعالج فيها لا عج البؤس والضرّ
تقاذفه ايدي الطغاة عداوة ... بسجن الى سجن ومصر الى مصر
فطوراً ببغداد وطوراً ببصرة ... بقيد ثقيل موهن قوة العمر

(البلادي البحراني، ١٤٢٤ هـ: ١٤٢)

لم تكن حياة الإمام الكاظم عليه السلام سوي معاناة عاشها كأقسي ما تكون المعاناة لكنّه لم يرضخ لظروف الدهر القاسية ولم يعبأ بالآلام لأنّ الله تعالى حاضر في وجدانه وعقله وقلبه ولم يرهق ولم يهن ولم ييأس لأنّ ابتلاء الله يقين بعظيم رحتمه. حُبِس الإمام عليه السلام في سجون متعددة بأمر خلفاء بني العباس وانتقل من سجن إلى سجن ومن مدينة إلى مدينة مكبّلًا ومقيداً. أشار الشاعر في هذه الأبيات إلى هذه السجون وآلام عاناها الإمام عليه السلام. يستهل البيت الأول بحرف (قد) وهذا حرف تحقيق والطغاة قد فرحوا من تعذيب الإمام عليه السلام. يضع السيد صالح النجفي القزويني (١٢٥٧ هـ ـ ١٣٠٤ هـ) يده في يد الشعراء الولايين ويشير إلى شدة معاناة عاشها الإمام عليه السلام:

كم جرعتك بنو العباس من غصص ... تذيب احشاءنا ذكراً وتُشجينا
قاسيت ما لم تقاسِ الانبياء ... وقد لاقيت اضعاف ما كانوا يلاقونا
ابكيت جدك والزهراء امك والـ ... اطهار آباءك الغرّ الميامينا

(الأمين، ١٩٩٢م: ٣٩٤/٢)

الشاعر يشير إلى ما عاناه الإمام عليه السلام من تعذيب واعتقال وغصص أكثر من أيّ ألم حتى استشهد الإمام عليه السلام وبكي أجداده على استشهاده من شدة هذه الآلام. ويتطرق الشيخ عبد الحسين الحياوي (١٢٩٥ هـ ـ ١٣٤٥ هـ) إلى جوانب أخرى من معاناة الإمام عليه السلام:

أخرجوه من المدينة قسراً ... كاظماً مطلقاً للدموع مقيد
حسداً منهم على ما اصطفاه الاله ... فيه وكان فيه مؤيد
كيف يقضي بالسم بين أناس ... منه كانوا بمسمع وبمشهد
مثل موسى يرمى على الجسر ميتاً ... لم يشيعه للقبور موحد

وينـــادى عليـــه هـــذا الـــذي في نهجـــه تـــزعم الـــروافض ترشـــد

(الخاقاني، ١٤٠٨ هـ: ٥/ ٢٠١)

الحقبة التي عاشها الإمام الكاظم عليه السلام كانت حقبة صعبة خنقت فيها الحريات حتى لم يستطع الخلفاء العباسيون أن يروا مكانة الإمام عليه السلام بين الناس وهم يؤيدونه، أخرجوه من مدينة جدّه إلى العراق ثمّ من مصر إلى مصر ومن سجن إلى سجن وكان الإمام عليه السلام في هذه السجون مكبّلا بالسلاسل ولكن لم يستسلم أمام هؤلاء الخلفاء حتى سقوه السمّ واستشهدوه ولم يجيزوا أن يشارك أحد في تشييع جثمانه واتهموه بالكفر والشّيخ ناجي خميس (١٣١١ هـ ـ ١٣٤٩ هـ) ينشد في رثاء الإمام عليه السلام:

بـاب الحـوائج كيـف يغلـق دونـه الـ ـسّنديّ أبـواب الحبـوس مهينـا

حتّـى إذا ضـاق الفضـا بـأبي الرّضـا رام القضـا ولـه مضـى مأذونـا

فسـقوه سمّـاً مـن حـرارة وقعـه الـ ـزّهراء تقـذف قلبـها المحزونـا

بـأبي الغريـب لقـىً تـروم بنعشـه الأعـداء نقصـاً في عـلاه وهونـا

وضـعوه فـوق الجسـر توسـع عـزّه بنـدائها بـين الملا توهينـا

(الخاقاني، ١٩٧٥م: ٢/ ٩٨)

انتقل الإمام عليه السلام من سجن الفضل بن يحيي إلى سجن السندي ابن شاهك وأمره هارون الرشيد بالتضييق على الإمام وتقييده بالسلاسل وأن يقفل عليه الأبواب ولا يدعه يخرج فامتثل السندي أمر طاغيته هارون فوضعه في طامورة لا يعرف فيها الليل من النهار وأوثقه بالحديد حتى أثر ذلك في جسده الشريف فما مضت تلك الليالي حتى بعث هارون إلى السندي رطبا مسموما لكي يقدمه للإمام عليه السلام فامتثل أمر طاغيته وقدم الرطب إلى الإمام عليه السلام وأجبره على أكله وبعد استشهاده وضعوا جثمانه فوق جسر الرصافة. والشاعر أشار إلى هذا الموضوع.

أشار محمّد حسين الإصفهانيّ النجفي (١٢٩٦ هـ ـ ١٣٦١ هـ) إلى النعش المحمول للإمام الكاظم عليه السلام:

ولم يشـيّعه مـن النّـاس أحـد فيـا لهـا مـن غربـة بغـير حـد

بـــل شـــيّعته الزّفـــرات المحرقـــة ... مـــن أنفـــس قلوبهـــا محترقـــة
شـــــيّعه العقـــــول والأرواح ... لهـــم علـــى غربتـــه نيـــاح
وكيـــف نعـــش صـــاحب الخلافـــة ... يرمـــى علـــى الجســـر مـــن الرّصـــافة
تنـــــوح في غربتـــــه عليـــــه ... خشخشـــــة الحديـــــد في رجليـــــه
ناحـــت عليـــه زمـــر الملائـــك ... بـــل ناحـــت الحـــور علـــى الأرائـــك

(الأصفهاني، ١٤١٥هـ: ٩٣)

أشار الشاعر إلى غربة الإمام عليه السلام يوم تشييع جثمانه إنّ الإمام عليه السلام لم يستشهد غريبًا فحسب، وإنّما بعيداً عن مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله والبيت الحرام، وبعدما وضعوا جثمانه على جسر الرصافة لم يشيعه أحد إلّا الزفرات المحرقة، والعقول والأرواح، وما ناح في غربته عليه إلّا خشخشة السلاسل المقيدة على رجليه والملائك والحور. ويذكر السيّد أسعد الموسوي (ولد ١٣٢١ هـ) الباكين الآخرين للإستشهاد الإمام عليه السلام:

فبكـــى الامـــلاك والرســـل لـــه ... والســـماوات بقـــان هاطـــل
وبكـــى القـــرآن والـــدين معـــاً ... والـــورى مـــن محتـــف او ناعـــل
وبكـــى الكرســـي والعـــرش دمـــاً ... وكـــذا الجـــن بـــدمع هامـــل

(المرهون، ٢٠١٣م: ٢/٣٦٠)

بكي على لإمام عليه السلام الملوك والأنبياء والسماوات القرآن والدين والكرسي والعرش والجن والناس جميعًا. تكرّرت كلمة (بكي) وفهذه تدلّ على قمة هذه المصيبة لهذا بكي على استشهاده الإنس والجن، والقرآن والدين، والسماوات..... رثا السيّد محمّد الشيرازي (١٣٤٧ هـ - ١٤٢٤ هـ) الإمام عليه السلام وهو في السجون:

وكـــان قـــد كبلـــه بسلســـل ... في مظلـــم الســـجن أثيمـــاً مجحفـــا
فـــلا يـــرى الامـــام في ردء ضـــحى ... نـــوراً ولا بـــرد الليـــالي اذ غفـــا
يمشـــي الهوينـــا مـــن ثقيـــل قيـــده ... يشـــكر ربـــه ويتلـــو المصـــحفا
طعامـــه لم يـــك طيبـــاً ولا ... شـــرابه مـــن الـــزلال قـــد صـــفا

(الخفاف، لاتا: ٣٧٤)

عانى الإمام عليه السلام في حبس السندي أشد الآلام والأذى وكان إذا ضاق نفس الإمام لضيق الطامورة يأتي إلى بابها وكان فيها فتحة ليستنشق الهواء منها فإذا رآه السندي لطم الإمام على وجهه وأرجعه إلى داخل الطامورة وأشار الشاعر في هذه الأبيات إلى هذه المصائب العظيمة. هارون الرشيد أمر السندي لكي يضيق الأمر على الإمام عليه السلام لهذا عامله معاملة الأثيم والمجحف وكبّله بالسلاسل وأدخله في السجون المغلقة لا يدخلها نور والإمام عليه السلام لا يعرف اليوم من الليل وأكله من الطعام والشراب كان غير مناسب ولكن الإمام عليه السلام لم يستسلم وتحمّل هذه المصائب ويشكر ربّه ويتلو القرآن لأنّ الله تعالى يراه. إنّ آلام الإمام عليه السلام ليست آلامًا عادية بل إنّها إيحائية معبّرة رسالية تحمّلها نتيجة ابتلاء إلهيّ وكان على يقين بخيره ونعيمه.

ويمكن تحديد الحقول المعجمية الّتي استقي منها هؤلاء الشعراء مفرداتهم حسب الترتيب التالي:

حقل الموجودات: السجن، السجون، الطغاة، العداة، القيد، غصص، الزهراء، آباء، السمّ، الجسر، الروافض، أبواب الحبوس، أحشاء، قلوب، الزفرات، العقول، الأرواح، الحديد، خشخشة، النعش، الأملاك، الرسل، القرآن، الحور، الدين، الكرسي، العرش، الجن، الدمع، الدم، الوري، الأصفاد، السلسل، الطعام، الشراب، المصحف، السحر، السجود، الرصافة، بغداد، بصرة، رجليه، أبو الحسن، موسى بن جعفر.

حقل الأحداث: استعذبوا، تقاذفوه، جرعتك، تذيب، تشجينا، قاسيتَ، لاقيتَ، أبكيتَ، أخرجوه، يرمى، لم يشيّعه، يقضي، ينادى، سقوه، تنوح، ناحت، بكى، كبّله، يعاني، ضاق، يغلق.

حقل المجرّدات: التعذيب، الحسد، التوهين،

حقل الصفات: المسموم، المكبّل، المقيّد، الموهن، المحزون، الغريب، المحرقة، قانٍ، هاطل، الهامل، مظلم، مجحف، الهوينا، الثقيل، بعيد، وحيد، متهجّد.

وحقل الرثاء هيمن على أبيات قيلت في الإمام الكاظم عليه السلام بنسبة عالية فمفردات هذا الحقل غطّت مساحة واسعة مِن المعجم الشعري للشعراء الولائيين. وجاء هذا الحقل مليئاً

بألفاظ الحزن والجراح والألم. هذه المفردات كاشفة عن عمق الجرح والألم الذي يعاني منه الشعراء الولائيون إزاء ما يمر بالإمام الكاظم عليه السلام في سجون خلفاء العباسيين. إنّ الهيمنة الغالبة في حقل الرثاء تكون على المفردات الدالة على السجن والتعذيب كـ (المكبّل، المقيد، الثقيل، الوحيد، التعذيب، السجن، السجون، السلسل، أبواب الحبوس، خشخشة الحديد، الأصفاد، تقاذفوه، المسموم، قاسيت، لاقيت، يغلق) وهذه المفردات خير دليل على أنّ الإمام عليه السلام كان قد تحمّل معاناة كثيرة في سجن إلى سجن. وهناك مفردات أخرى تهيمن على هذا الحقل وهي الزفرات، الأرواح، الأملاك، الرسل، القرآن، الدين الكرسي، العرش، الجن، تكرّرت كلمة (بكي) وهذه المفردات تشير إلى الذين بكوا وشاركوا في تشييع جثمان الإمام عليه السلام ولو دقّقنا النظر في هذه المفردات لنشاهد المشيعين المتعدّدين من الأملاك والرسل والجن إلى القرآن والدين، والكرسي وهذه تدلّ على عظمة مصيبة استشهاد الإمام عليه السلام. والفعلان المضارعان (تذيب، وتشجينا) يدلان على الاستمرار التجددي أي لم تنته شهادة الإمام عليه السلام بل كل سنة في الذكري السنوية لاستشهاده عندما نراجع مصائب الإمام عليه السلام تذيب أحشاءنا وتشجينا كأنّه استشهد للتوّ. إنّ هذه المراثي لم تكن مقتصرة على سبك العبرة وإبراز التفجّع والتألّم بل استلهم الشعراء الدروس والعِبَر من الصبر أهل البيت عليهم السلام عند المصائب وثباتهم في الحوادث والمواقف فنشروها للناس صحائف بيضاء من تاريخنا المجيد و ديننا القويم. ولقد تناول شعراؤنا قضية استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام من جوانب متعددة فمنهم اقتصر على سرد سجن الإمام الكاظم عليه السلام ومنهم مَن وصف موقف الإمام في أيام سجنه وآلامه ومنهم مَن استلهم منه العظة والعبرة ومنهم مَن تعلّم منه دروس المقاومة في سبيل المبدأ والعقيدة. إنّ الإمام الكاظم عليه السلام معين ثرّ ورافد معطاء يغذي النفوس الشاعرة بما لا مزيد عليه، ويفتح الآفاق الواسعة أمام الشعراء ويفجّر الطاقات الكامنة في النفوس. وهكذا يقف الشعراء الولائيون مع الشيعة في قضية استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام وهو رمز من رموز المقاومة ضد الطغاة والظالمين ومعلَم من معالم الإباء والحرية ونور يهدي به الله الالتائهين عن الصراط المستقيم وبه كان بقاء الإسلام وباستشهاده أعاد للقرآن ضرته وراءه.

أهم الألفاظ والمفردات ومتعلقاتها الدالة على الرثاء:

التعذيب	السجن	السجون	الطغاة	المسموم	المكبّل	المقيّد	الموهن	العداة	استعذبوا	تقاذفه
القيد الثقيل	جرعتك	غصص	تذيب	تشجينا	قاسيت	لاقيتَ	أبكيتَ	الزهراء	أخرجوه	قسرًا
حسدًا	السم	يرمي	الجسر	لم يشيّعه	الروافض	يقضي	ينادى	المحزون	سقوه	الغريب
أبواب الحبوس	التوهين	أحشاء	القلوب	الزفرات	المحرقة	العقول	الأرواح	تنوح	خشخشة	الحديد
النعش	ناحت	الملائك	الحور	بكى	الأملاك	الرسل	القرآن	الدين	الكرسي	العرش
الجن	قان	هاطل	الدمع	الدم	الهامل	الورى	كبّله	سلسل	مظلم	مجحف
طعامه	شرابه	لا يرى	الليالي	يمشي	الهوينا	يتلو	يشكر	المصحف	السحر	السجود
بعيدًا	وحيدًا	يعاني	الأصفاد	الرصافة	رجليه	ضاق	يغلق	بغداد	بصرة	أبوالحسن
موسى بن جعفر	متهجد									

٣) حقل طلب الشفاعة

حديث الشفاعة من الأحاديث التي صارت مثار الكلام بين المدرستين -مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة الصحابة- إلّا أنّه من المسلّمات عند الشيعة الإمامية ثبوت حق الشفاعة لأهل البيت عليهم السلام وأنّهم أبرز مصاديق قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة، ٢٥٥) وقوله عزّ من قائل: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (طه، ١٠٩) لهذا نري شعراء الشعر الولائي في خواتيم قصائدهم يتوسّلون لأهل البيت عليهم السلام ويطلبون منهم الشفاعة. ومن الأمثلة البارزة لهذا التوسل والخضوع لنيل الشفاعة تتجلّي في أشعار الشعراء في الإمام الكاظم عليه السلام. وأنشد السيد صالح النجفي القزويني (١٢٥٧ هـ ـ ١٣٠٤ هـ) في هذا المجال:

باب الحوائج عن اله والسبب الـ ـوصول بالله غوث المستغيثينا

الكاظم الغيظ عمن كان مقترفاً ذنباً ومن عمَّ بالحسنى المسيئينا

(الأمين، ١٩٩٢م: ٢/٣٩٤)

من ألقاب الإمام عليه السلام هو باب الحوائج ولمن حاجة يأوي إليه لأنّه السبب الموصول بالله تعالى ومن ألقابه الأخرى هو الكاظم الغيظ لهذا يعفو عن المذنبين والمجرمين والمسيئين. يؤمّ الناس مرقد الإمام عليه السلام لقضاء حوائجهم الدنيوية والأخروية وأشار السيد صالح النجفي القزويني (١٢٥٧ هـ ـ ١٣٠٤ هـ) إلى حوائج الناس الدنيوية:

وكم بك الله عافٍ مبتلى ولَكَمْ شافٍ مريضاً واغنى فيك مسكينا

(الأمين، ١٩٩٢م: ٢/٣٩٤)

ومحمّد حسين الإصفهانيّ النجفي (١٢٩٦ هـ ـ ١٣٦١ هـ) أيضا يشير إلى توسّل الناس بالإمام عليه السلام لحوائجهم الدنيوية:

وبابه باب شفاء المرضى ... وكل حاجة لديه تقضى

وبابه باب حوائج الورى ... لأجله به غدا مشتهرا

وكعبة الرجا لكل راج ... ومستجار الملتجى المحتاج

(الأصفهاني، ١٤١٥هـ: ص ٩١)

بما أنّ الإمام السبب الموصول بالله تعالى يلجأ إليه المريض والفقير كلمة (بك) تدلّ على أنّ الشافي والمغني هو الله تعالى ولكن الإنسان يتوسّل بباب الأحوائج وحجة الله على خلقه إلى الله ويقدّم بين يديه حاجاته ويستشفع والإمام عليه السلام يدعو لنا ويطلب من الله تعالى إستجابة الدعاء ويستجيب الله تعالى دعواته. ذكر الشاعر محمد حسين الإصفهاني للإمام عليه السلام ثلاثة أبواب فهي باب الشفاء، وباب الحوائج، وباب كعبة الرجاء. السؤال الذي يطرح هنا هو هل الإمام عليه السلام يكون مجلأ محبّيه لقضاء حوائجهم الدنيوية فحسب؟ الشيخ عبد الحسين الحياوي (١٢٩٥ هـ ـ ١٣٤٥ هـ) يجيب عن هذا السؤال ويقول:

وشفيع يوم القيامة إذ لا ... شافع غير جده يدرأ الحد

(الخاقاني، ١٤٠٨هـ: ٥/ ٢٠١)

ويضع الشّيخ ناجي خميس (١٣١١ هـ ـ ١٣٤٩ هـ) يده في يد الحيلاوي ويقول:

أعددت حبّكم ليوم لا أرى ... مالاً ينفّس كربتي وبنينا

(الخاقاني، ١٩٧٥م: ٢/ ٩٨)

يقول الحيلاوي وخميس أنّ الإمام عليه السلام لا يستجيب دعواتنا في هذه الدنيا فحسب بل إنّه وجيه عند الله وشفيع محبّيه يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون. وأشار زيد بن سهل الموصلي (المتوفى في حدود ٤٥٠ هـ) إلى التجاءه بالإمام عليه السلام:

قصدتك يا موسى بن جعفر راجياً ... بقصدك تمحيص الذنوب الكبائر

ذخرتك لي يوم القيامة شافعاً ... وانت لعمر الله خير الذخائر

(الأمين، لاتا: ٦/١٠١)

لا يقصد الشاعر المحبّ مرقد الإمام عليه السلام إلّا لأجل استغفار ذنوبه ويدّخر حبّه ليوم القيامة لأنّه خير الذخائر وشفيع له. ويقول السيّد محمّد على الغريفيّ البحرانيّ (١٣٢٨ هـ - ١٣٨٨ هـ):

أنت مهما دهاك لدهرك بالشرّ	لذ بخير الأنام موسى بن جعفرْ
وتمسّك به ولا تخش ضيراً	فهو منجي الوجود طرًّا من الضّرْ
وهو ظلّ الرّحمن يأوي إليه	كلّ من خاف ذنبه يوم يحشر
قف على بابه وقوف ذليل	خاشع الطّرف واسأل الأجر تؤجر
فهو باب الإله باب رسوله اللّـ	ـه باب الطّهر البتول وحيدر
قف وقبّل أعتابه وتأمّل	رحمة الله عنده كيف تنشر

(الأمين، ١٩٨٧م: ٣/ ٢٣٩)

استخدم الشاعر أفعال الأمر (لُذ، تمسّك، قِف، اسأل، قبّل، تأمّل) وكلها خرج عن معناه الأصلي ويوحي بالالتماس. والإمام عليه السلام باب الإله، وباب رسول الله صلى الله عليه وآله، وباب الزهراء عليها السلام، وباب على عليه السلام وما هو واجب المستجار به؟ الشاعر يقول على المستجار أن يكون خاشعًا وذليلًا ومتواضعًا عند بابه لأنّ بابه هو باب الله وباب أجداده.

لو تتبعنا أنواع الحقول المعجمية في هذا المحور، لأمكننا حصرها فيما يأتي:

حقل الموجودات: باب الحوائج، باب الشفاء، ظل الرحمن، باب الرسول، باب الإله، باب الطهر البتول، حيدر، موسى، يوم القيامة.

حقل الأحداث: لُذ، استجِر، شافي، عافي، أغني، قصدتك، ذخرتك، تمسّك، يأوي، قِف، قبّل، تأمّل.

حقل المجرّدات: الغوث، السبب، الشفاء، الرجاء، الغيظ، الحاجة، تمحيص، وقوف، الضير، رحمة.

حقل الصفات: المستغيثين، المتوسّل، المسكين، المريض، المبتلى، المحتاج، المستجار، شفيع، المنجي، الراجي، الطهر.

نجد في هذه الحقول أنّ الدلالات المعجمية قد ارتبطت بالتشويق إلى التوسّل بالإمام الكاظم عليه السلام وأفعال الأمر المستخدمة في هذا الحقل (لُذ، استجِر، تمسّك، قف، قبّل، تأمّللإ خاشِع) تدلّ على الإرشاد والتشويق. يؤمّ الناس مرقد الإمام عليه السلام لقضاء حوائجهم الدنيوية والأخروية وممّا يدلّ على الحوائج الدنيوية هو (الشفاء، المريض، المسكين، شافي، عافي، المبتلي) وممّا يدلّ على الحوائج الأخرويّة هو (يوم القيامة، شفيع، شافع، الذنوب، المسيئين، المستغيثين) وما الحوائج الأخروية إلّا طلب شفاعة في يوم القيامة لكي يغفر الله تعالى ذنوبهم يوم لا ينفع مال ولابنون. ذكر الشعراء الولائيون في هذا الحقل ألقابا متعددة للإمام عليه السلام مستعينين من كلمة (باب) كـ (باب الحوائج، باب الشفاء، باب الرجاء، باب الإله، باب الطهر، باب الرسول) وهذه تدلّ على أنّ الإمام الكاظم عليه السلام كباب يدخل الإنسان في حوائجه عبر هذا الباب وإن لم يكن لدينا حبّه لا يمكننا الدخول في هذا الباب.

أهم الألفاظ والمفردات ومتعلقاتها الدالة على طلب الشفاعة:

باب الحوائج	السبب	الغوث	المستغيثين	المسيئين	الذنب	لُذ	استجر	متوسلا	شافي	عافي
الكاظم الغيظ	أغنى	المبتلى	المريض	المسكين	حاجة	الملتجى	المستجار	المحتاج	شفيع	قصدتك
باب الشفاء	تمحيص	الذنوب	ذخرتك	راجيًا	موسى	منجي	ظل الرحمن	تمسّك	يأوي	قف
كعبة الرجاء	باب	دليل	خاشع	اسأل	تؤجر	الأجر	باب الإله	باب الرسول	باب الطهر	البتول
يوم القيامة	حيدر	قبّل	تأمّل	رحمة الله	وقوف	ضير				

٤) حقل الهجاء

المقصود من الهجاء هو بيان رذائل الصفات التي كان يتخلّق بها أعداء أهل البيت عليهم السلام وبالتالي فهم لا يستحقّون ذلك المنصب الذي انتموا إليه فكيف يتصور أن يكون أهل البيت عليهم السلام من رعاياهم؟! الشاعر الولائي ينظر إلى أعداء أهل البيت عليهم السلام نظرة تعجب واستغراب أحيانًا، ونظرة شزر واشمئزاز أحيانًا أخرى، فتجيش مشاعره بعقد مقارنة بين مزايا الصفوة من أهل البيت عليهم السلام التي خصّهم الله بها وبين أولئك ليخرج بنتيجة تمّت مقدماتها وهي: عدم تأهل أولئك لمنصب كبير وخطير فوجد عندنا شعر أشبه شيء به الهجاء إلّا أنّه لا يخرج عن الحقيقة إلى الخيال ولا يصل إلى حدّ الشتم والسباب، وإنّما هو تعداد للحوادث التاريخية، وإلي ما قام به أولئك من أعمال وأفعال، وما حصل لهم من مواقف، فتجد في بعضه عتابًا، وفي آخر توبيخًا، وفي ثالث نقدًا لازعًا، حسب ما يقتضيه الحال، وتفرضه

شخصة الطرف الآخر (سنبل، ٢٠٠٣م: ٢٢٧). أشار الشيخ موسى بن الحسن الفلاحي (١٢٣٩ هـ - ١٢٨٩ هـ) إلى سوء عاقبة أعداء الإمام عليه السلام:

لا شكّ من عاداه أو ناواه يحشر في سقر

(الخفاف، لاتا: ٢٧٧)

استخدم كلمة (لا شكّ) وهذه تذيل أيّ شكّ و تبيّن لنا أنّ عاقبة الذين عادوا الإمام عليه السلام وناووه في يوم القيامة هي الحجيم. يهجو السيد صالح النجفي القزويني (١٢٥٧ هـ - ١٣٠٤ هـ) هارون وسياسته ويقول:

يا ابن النبيين كم اظهرت معجزة في السجن ازعجت فيها الرجس هارونا

يا ويل هارون لم تربح تجارته بصفقة كان فيها الدهر مغبونا

ليس الرشيد رشيداً في سياسته كلا ولا ابنه المأمون مأمونا

(الأمين، ١٩٩٢م: ٣٩٤/٢)

وله أيضًا:

وابكِ فيها كاظم الغيظ الذي مات مسموماً بأيدي أشقياها

(المصدر نفسه: ٣٩٥/٢)

يهيمن على هذا النص حقل دلالي يوحي (بخباثة ورذالة أعداء الإمام عليه السلام) ولقد جعل الشاعر كلماته تنتمي إلى هذا الحقل (الرجس، ويل، لم تربح، مغبون، أشقيا) إذا أنعمنا النظر في هذه الأبيات نجد خباثة ورذالة هارون والشاعر يخاطبه بصفة الرجس والأشقيا ويزيل عنه الطهارة ويقول أنّ هارون لم يربح في عمله لّما دسّ في سمّ الإمام عليه السلام وأمر السندي بسقي الإمام عليه السلام سمًّا. لهذه تكون تجارته غير مربحة. شبّه الشاعر سياسة هارون الخبيثة بتجارة غير مربحة. وأصبح هارون مغبونا في سياسته وابنه المأنون أيضا غير ناجح في سياسته وأعداء الإمام عليه السلام كلهم أشقياء وغير سعداء. يهجو الشيخ كاظم الهر الحائري (١٢٥٧ هـ - ١٣٣٣ هـ) السندي ويقول:

تبّت يدا السندي فيما جاءه ولسوف يصلي في لظى سجّين

(الأمين، لاتا:، ١١/٩)

يقارن محمّد حسين الأصفهانيّ النجفي (١٢٩٦ هـ ـ ١٣٦١ هـ) بين مزايا الصفوة من أهل البيت عليهم السلام التي خصّهم الله بها وبين أعدائهم ويقول:

ويـــل لهـــارون الخنـــا أخـــنى علـــى ... موســـى ربيـــب المجـــد بـــل ربّ العـــلا

كيـــف وأيـــن الرّوضـــة المنـــوّرة ... مـــن محـــبس السّـــنديّ رأسِ الفجـــرة

ولم يـــزل يعـــالج الحبوســـا ... وكـــان كـــلّ يومـــه عبوســـا

كيـــف قضـــي بالرُطـــبِ المســـومِ ... علـــى يـــد ابـــن الشـــاهك المشـــومِ

نـــادى عليـــه الـــرّجس بـــالتحقير ... وإنّـــه ابـــن آيـــة الـــتّطهير

(الأصفهاني، ١٤١٥هـ: ٩٣-٩٢)

الشاعر من ناحية يذكر الصفات الرذيلة لأعداء الإمام عليه السلام ويخاطبهم بـ(الخنا، رأس الفجرة، ويل، المشوم، الرجس، التحقير، عبوس) ومن ناحية أخرى يذكر الصفات الحميدة للإمام عليه السلام كـ(ربيب المجد، الروضة المنورة، آية التطهير) وهذه المقارنة تدلّ على عدم تأهل هارون للخلافة. والشطر الثاني في البيت الأخير يشير إلى هذه الآية الشريفة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب/٣٣). يفتح السيّد محمّد الشيرازي (١٣٤٧ هـ ـ ١٤٢٤ هـ) ملفّ هارون الرشيد ليبرز لنا المستور من المساوئ والأحقاد التي يندي لها جبين الكرامة والإنسانية:

حـــتى ســـقاه الســـم بـــأمر مـــن ... الكـــافر هـــارون بـــه قـــد هتفـــا

يشـــرب موســـى الســـم وهـــو زاهـــد ... ويشـــرب الـــرجس الاثـــيم قرقفـــا

يقضـــي الامـــام نحبـــه بزنـــزن ... والـــرجس في القصـــر خطـــا يقترفـــا

(الخفاف، لاتا: ٣٧٤)

أشار الشاعر في هذه الأبيات إلى حسادة هارون الإمام عليه السلام ولمّا شعر هارون أنّه لم ينجح في خلافته إلّا بقتل الإمام قام بمكايد وحيل لهذا أجبر الإمام عليه السلام على المهاجرة من مدينة جدّه إلى العراق و أمر هارون بسجنه وانتقاله من سجن إلى سجن ولكن لم يستسلم الإمام عليه السلام. هذه الأبيات تلخّص فيها جرائم هارون ويقارن السيد محمد الشيرازي بين حياة هارون والإمام الكاظم عليه السلام ويسمّي هارونَ بالكافر، والرجس، والأثيم، وشارب الخمر،

ويعيش في القصور الشامخة) وبين حياة الإمام عليه السلام وهو زاهد و ساكن في الزنزال وشارب السمّ. ويقول السيّد أسعد الموسوي (ولد ١٣٢١ هـ):

كم وكم كابد من اعدائه ... غصصاً تذهل لبّ العاقل

سيما اشقى الورى شيطانها ... المسمى بالرشيد الجاهل

وبحبس الفاجر السندي قد ... زجه لم يخش عذل العاذل

(المرهون، ٢٠١٣ م: ٢/ ٣٦٠-٣٥٩)

قام أعداء الإمام عليه السلام بأعمال تذهل عقل الإنسان العاقل وكشف الشاعر عن هذه الأعمال الخبيثة ويخاطب أعداء الإمام عليه السلام بكلمات يستحقونها كـ (أشقي الوي، الشيطان، الجاهل، الفاجر) ووصل هارون والسندي إلى مرحلة لا يخشيان عذل العاذل. وينشد السيّد مهدي الأعرجي (١٣٢٢ هـ - ١٣٥٨ هـ):

قطع الرّشيد عليه فرض صلاته ... قسراً وأظهر كامن الأحقاد

تبت يد الرجس الرشيد بفعله ... اذ ليس فيما قد جنى برشيد

(البلادي البحراني، ١٤٢٤هـ: ٧٥٦)

ويضع الشيخ حسين الفتوني (المتوفى ١٢٧٨ هـ) يده في يد الأعرجي:

فشأنه عند الرشيد الفاسق ... فكان ما كان من المنافق

فسمه السندي نجل الكفره ... بأمر هارون رئيس الفجره

(الخفاف، لاتا: ٤٠٥)

أشار الأعرجي والفتوني في أشعارهما إلى خباثة هارون والسندي ويهجوانهما. كلمة (تبّت) فعل ماض للدعاء على هارون والإضافة إلى اليد لأنّ العمل باليد وبمعنى هلكت أو خسرت والتباب خسران يؤدي إلى الهلاك وهذه نتيجة فعل هارون لأنّه أظهر أحقاده للإمام عليه السلام ولم يربح عمله. والتعبير (تبّت) بالماضي للتحقيق ونزل هذا الفعل للتوبيخ والوعد والذم. ويشير الفتوني إلى الصفات الرذيلة الأخرى لهارون والسندي كـ (الفاسق، المنافق، نجل الكفرة، رئيس الفجرة) وهذه الصفات خير دليل على خباثتهما. أشار الشاعران إلى الحقل الدلالي الذي يدور حول رذائل هارون: الفاسق، والمنافق، والفجرة، والكفرة،

والرجس، الأحقاد). حين انهار عرش بني أمية قامت على أنقاضه دولة بني العباس فلم يكونوا أحسن حالًا من الأوّلين إذ قتلوا وسجنوا وشرّدوا ولَعبوا وطربوا، ممّا فتح المجال أمام الشعراء للنيل منهم، والقول فيهم ممّا يستحقّون أو أقل. ومن ذلك ما فاضت به قريحة الشاعر محمّد سعيد الجشيّ (١٣٣٨ هـ-١٤١٠ هـ):

إيه (هارون) أين ملكَ عظيم	تتباهي بعرشه الأيام
أين تلك الحضارةُ البكر في الأر	ضِ حمتها الأجنادُ والأعلام
قد تهاوت على دماء شهيد	وتلاشت لمّا فشا الإجرام
كم بريء لم يجنِ جرمًا قتلتم	واستباحت جريمَه الأقزامُ
أ لموسي طامورة مثل جُنح الـ	ـليل والقيد مرهقٌ والسقام؟
أ ينادي عليه بالجسر للفُر	جةِ مِيتًا وهو التقيُّ الإمامُ؟

(سنبل، ٢٠٠٣م: ٢٣٤)

استخدم الشاعر الاستفهام (أين) مرتين وخرج هذان الاستفهامان عن معناهما الأصلي ليوحي بالسخرة والتوبيخ يعني انهدمت قصورك الشامخة وانقضت وتلاشت حضارة بني العباس التي كانت تحميها الجنود والجيوش وقتلتم أبرياء. والاستفهام في البيتين الأخيرين للتوبيخ والوعيد والشاعر يخاطب هارونَ ويقول هل سجتنم الإمام عليه السلام في الطامورة كانت كالليل المظلمة وهو مقيد ومكبّل بالسلاسل ووضعوا جثمانه على الجسر وهو كان إمامًا طاهرًا.

إذا أمعنا النظر في أشعار هؤلاء الشعراء في محور الهجاء نصنّف الحقول المعجمية فيها حسب التصنيف التالي:

حقل الموجودات: سقر، لظي، محبس، الروضة، قرقف، زنزن، القصر، أعداء، شيطان، الإمام، المُلك، طامورة، الجنود، هارون، المأمون، السندي.

حقل الأحداث: ناواه، عاداه، لم تربح، كابد، يقضي، يقترف، تلاشت، تهاوت، تتباهي، قتلتم، تبّت.

حقل المجرّدات: التحقير، النفاق، عذل، الحبس.

حقل الصفات: الرجس، المنافق، أشقيا، الخنا، ربيب المجد، المنورة، عبوس، رأس الفجرة، المشوم، آية التطهير، الكافر، الزاهد، الأثيم، الجاهل، الفاسق، الكفرة، بريء، التقي.

إذا دققّنا النظر في حقل الهجاء وفروعه نجد أنّ الشعراء الولائيين قاموا بالمقارنة بين صفات الإمام الكاظم عليه السلام وبين رذائل أعداءه. ويتّضح لنا أنّ هذه الحقول تدخل كلّها ضمن ثنائية (الظالم والمظلوم) وأنّها تتداخل عبر كثير من المفردات. ثمّ نجد فيها عاقبة الظالمين. يتمثل الظلم في هارون والمأمون والسندي مع كمٍّ هائل من الصفات الرذيلة كـ (الرجس، والمنافق، الأشقيا، العبوس، ورأس الفجرة، والمشوم، والكافر، والجاهل، والفاسق، ونجل الكفرة) ويتمثّل المظلوم في الإمام الكاظم عليه السلام وله صفات حسنة كـ (ربيب المجد، آية التطهير، والزاهد، والتقي، والإمام). وهناك مفردات تشير إلى كيفية حياة أعداء الإمام عليه السلام (القصر، الملك، العرش) وشرابهم كان الخمر (القرقف) وكيفة حياة الإمام عليه السلام (المحبس، الزنزن، الطامورة) وشرابه كان السمّ. ثمّ تشير مفردات هذا الحقل إلى عاقبة الظالمين وهي السقر واللظى و(تلاشت، وتهاوت) حضارتهم.

أهم الألفاظ والمفردات ومتعلقاتها الدالة على الهجاء:

ناواه	عاداه	سقر	الرجس	هارون	السندي	المنافق	لم تربح	تجارته	سياسة	المأمون
ويل	أشقيا	تبّت	لظى	الخنا	موسى	ربيب المجد	الروضة المنورة	محبس	رأس الفجرة	عبوس
المشوم	آية التطهير	التحقير	الكافر	النفاق	الزاهد	الأثيم	قرقف	زنزن	القصر	كابد
أشقى الورى	أعداءه	شيطانه	الجاهل	حبس	عذل	الفاسق	نجل الكفرة	تتباهى	الحضارة	تهاوت
تلاشت	بريء	قتلتم	التقي	الإمام	الملك	طامورة	العرش	الجنود	يقضي	يقترف

٥) الحقل السياسي

إنّ المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمّي، عاش الشعراء الولائيين في شعرهم الولائي الأوضاع السياسية القاتمة والظروف الصعبة غير الطبيعية التي عانتها بعض الشعوب المسلمة. يتحدث عباس الترجمان (١٣٤٤ هـ ١٤٢٩ هـ) من خلال رثاءه الإمام الكاظم عليه السلام عن الأوضاع السياسية في العالم والظلم الذي سيطر عليه:

فيك هذا النور قد أودعه الله تعالى ... وهو سرٌّ غامضٌ منه العقول العشر تبهر

قتلوا ظلماً وزوراً سجنوا جاروا أبادوا ... نهبوا سمّوا أباحوا خفراتٍ تتخدّر
صادروا الأموال والأولاد والأنفس قسرا ... واسترقّوا الأنفس الأحرار والعبد المحرّر
أعدموا صلباً وشنقاً غيلةً قتلاً وخنقاً ... أحرقوا رمياً وصلياً نسفوا كلّ معمّر
هدّدوا بل شرّدوا بل بدّدوا شرقاً وغرباً ... قصفوا واستنزفوا كلّ دم زاكٍ مطهّر
حاولوا إمكانهم أن يطفئوا لله نوراً ... وأبى الرحمن إلاّ أن يتمّ النور يزهر
كلّ طاغٍ كلّ باغٍ معتدٍ كلّ أثيم ... عندما يطغى على إخوانه أو يتجبر
سرّه النقص الذي يشعر فيه بازدياد ... جاهداً أن يتلافاه كما قد يتصوّر
ظنّ أن يكمله بالقتل والإرهاب والعنـ ... ـف وبالقسوة حتّى لتراه يتهستر
مثل من شنّ علينا الحرب عدواناً وظلماً ... ناقص بالقتل والتدمير جهلاً يتبختر
فمتى يقضى جنود الله والحقّ عليه ... ومتى في مزبل التاريخ باللعنة يقبر
ومتى تسلم منه مدنٌ أضحت رسوماً ... ومتى أرض العراق الطهر منه تتحرّر
أين أبناء العراق الصيد بل أين الغياري ... أيغضّون وفي غابهم الثعلب يزأر
إنّني أخشى بذا ـ لا سمح الله تعالى ـ ... أنه لم يبق من للثأر من صدّام يثأر
إنّني أعجب ممّن لا يرى التاريخ درساً ... عظةٌ فيه وذكرى لبصيرٍ يتفكّر
كيف لا يردعه التاريخ والتفكير فيه ... كيف لا يعتبر الماضي ولّما يتذكّر
أين نمرود وفرعون وشدّاد وأين الـ ... ـطاغي الفاشي ((موسوليني)) والنازيّ
أين هارون الزمن كبره عاث فساداً ... ناشراً سلطته والكبريا في البحر والبر
أين قصر الخلد بل أين الغواني والأغاني ... ولياليّ سكر عبّاسة في القصر وجعفر
لا يدوم الظلم والطغيان في الدهر طويلاً ... حكمة الله بهذا إنّه إن دام دمّر
سيدي يخسأ من حاول أن يطفىء نور الـ ... له فيكم عن طريق القتل والسّمّ ويخسر
أنتم للكون نور ولمن والى حبور ... ونعيمٌ وسرور بل وللظمآن كوثر
سرت من طيبة للبصرة محجوراً سجيناً ... وإلى بغداد من سجنٍ إلى سجنٍ تسير
قاتل الله دعاة الملك ما أقساهم في ... طلب الملك وإن ادى إلى الكفر وأسفر

يقتلون الأب والأبناء والإخوان طرّاً ... لا يبالون بذي قربي وذي ودٍّ يعزّ
يقتلون الناس من غير حسابٍ أو كتابٍ ... غير أنّ الذنب والجرم لهم بعداً يدبر
وإذا أثبتهم قالوا لنا الملك عقيم ... عقمت أصلابهم راحوا بذنبٍ ليس يغفر
لا إلى الشرق اتّجهنا لا إلى الغرب ... قدماً نسري على خطّكم لا نتقهقر
سيدي أنتم أولوا الأمر وأهل البيت أنتم ... وأولوا القربى وفي حبّكم المختار يؤجر
نحن في الدنيا أذاقونا عذاب الهون مرّاً ... لا لذنب غير أنّا بهواكم نتجاهر
فصبرنا وتحمّلنا لكي نبقى على الودّ ... على الحبّ على النهج على العهد المقرّر

(الخفاف، لاتا: ٤٤٢-٤٤١)

لقد أراد الشاعر أن يحرّك استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام في واقع العصر الذي يحياه فالظلم ظلم في أيّ زمان ومكان والحقّ حقّ حتى قيام الساعة. الشاعر يشير في هذه الأبيات إلى الظلم والقصف ونهب الأموال واستنزاف دماء المظلومين وقتلهم الذي شمل العالم ويعلّمنا كيف نواجه هذه المصائب مستخدماً بقضية استشهاد الإمام عليه السلام. أخرج الشاعر الاستفهام في (أين أبناء... ومتي أرض العراق...) عن معناه الأصلي ويدلّ على تحريض الشعب العراقي للقيام ضدّ الصدام والاستفهام في (أين نمرود...، أين هارون...أين قصر...) لتحقير وتهكم الحكام المستبدين والظالمين ويذكر الظالمين بأنّ الظلم لا يبقي. في رأي الشاعر الظلم ظلم في أيّ زمان ومكان لهذا يشير إلى الطاغي الفاشي ((موسوليني)) والنازيّ (هتلر)ز والشاعر يخاطب الإمام عليه السلام و يقول خطّنا خطّ الأئمّة وطريقنا طريقهم ولا نتّجه إلى الشرق ولا الغرب. الإمام الكاظم عليه السلام حاضر في كلّ آن ومكان يتحدّي بإيمانه جور السلاطين واستبداد الطغاة الظالمين رافعًا رأية الحقّ ضدّ الباطل ولواء الهدي في وجه الضلال مانحًا الوجودَ والحياة أسمي دروس العزّة والإباء. والإمام عليه السلام بإيمانه الصادق واستقامته أمام خلفاء بني العباس يدرّسنا أنّ الإسلام لا يؤيد الحاكم الطاغية ولا الأمير العاتي، إنّه عليه السلام يعلّمنا كيف يكون المؤمن بربّه شجاعًا في الحق لا تُرهبه صولة الباطل ولا تخدعه زهرة الحياة عن أداء رسالة الحقّ والخير. لهذا فلابدّ لنا أن نتابع طريق الإمام عليه السلام ولا يكفي أن تكون قلوبنا مع أهل الحقّ بل لابدّ أن تكون سيوفنا معه ولا يكفي أن تكون كلماتنا مع أهل العدل بل لابدّ أن تكون مواقفنا معهم ولابدّ أن يبقي الحقّ في عقولنا وقلوبنا

ومواقفنا وأن نتطلّع في كلّ مرحلة من المراحل إلى كلّ الواقع الإسلامي الذي تدور فيه المعركة بين العزّة والذلّة في موقف الإسلام أمام الكفر أو في موقف المستضعفين أمام المستكبرين. نجد أن معجم النص يشع بالتحدي والصمود، ويبدو أن روح المعارضة دفعت الشاعر إلى توظيف هذه الألفاظ. هو يريد من أبناء الوطن مواجهة الحاكم الظالم وأيّ عدو غاشم؛ حتى ينالوا حريتهم من الظالمين لأنّ الوطن يرزخ تحت نير الاحتلال وقد نشر الرعب والجراح والدمار في أنحاء البلاد. إذن؛ إنّه حمل دفء الحب للعراق والثورة على الدمار والقتل والإرهاب وعبر عما بداخله أصدق التعبير.لأنّ شعره يصدر عن شاعرية طبيعية وفطرية أدبية.

إذا أمعنا النظر في أشعار هؤلاء الشعراء في المحور السياسي نصنّف الحقول المعجمية فيها حسب التصنيف التالي:

حقل الموجودات: الشرق، الغرب، الحرب، العراق، الصدام، نمرود، فرعون، شدّاد، الفاشي(موسوليني)، النازي (هتلر)، هارون (الزمن)، بني العباس، أهل البيت، أولوا القربى، أولوا الأمر.

حقل الأحداث: قتلوا، أبادوا، جاروا، نهبوا، صادروا، هدّدوا، أعدموا، شرّدوا، يقتلون، شنّ، يثأر، لا تعتبر، لا يدوم، يخسأ، صبرنا، تحمّلنا، يطفيء، لا نتقهقر، تتحرّر.

حقل المجرّدات: الإرهاب، العنف، الظلم، الزور، القتل، التدمير، الثأر، عظة، درسًا، الطغيان، الهون.

حقل الصفات: طاغ، باغ، معتد، الأثيم، المحرّر.

لو أنعمنا النّظر في هذا الحقل يتّضح لنا أنّ هذا الحقل يتدخل كلّه ضمن ثنائية (الحق، الباطل) والباطل يتمثل في الظالمين كـ (الصدام، نمرود، فرعون، شدّاد، الفاشي(موسوليني)، النازي(هتلر)، هارون الزمن، بني العباس) وهناك أفعال تكشف عن أعمال الباطل (قتلوا، أبادوا، جاروا، نهبوا، صادروا، هدّدوا، أعدموا، شرّدوا، يقتلون، شنّ) والحق يتمثل في (أهل البيت، أولوا القربى، أولوا الأمر). والباطل لا يعرف سوي لغة النار والحديد وحيثما ساد الباطل فإنّه يسيطر على الجميع. إنّ الإمام الكاظم عليه السلام لا يريد

للإنسان أن يكون حياديا عندما تكون معركة الحق والباطل. إنّ المسألة التي تتحدّي إنسانيتنا في كلّ قضايا الصراع في الواقع هي أن يعيش الإنسان دوره في حركة إنسانيته في الواقع. إنّ الإنسان الذي لا يشارك في أيّ موقع من مواقع الصراع التي تمثّل القضايا الكبري في الحياة هو إنسان ميت يتنفّس وميت يتحرّك. ورد عن الإما الكاظم عليه السلام ((**أَبْلِغْ خَيْراً وَ قُلْ خَيْراً وَ لاَ تَكُنْ إِمَّعَةً قُلْتُ وَ مَا الْإِمَّعَةُ قَالَ لاَ تَقُلْ أَنَا مَعَ اَلنَّاسِ وَ أَنَا كَوَاحِدٍ مِنَ اَلنَّاسِ إِنَّ رَسُولَ اَللَّهِ ص قَالَ يَا أَيُّهَا اَلنَّاسُ إِنَّمَا هُمَا نَجْدَانِ نَجْدُ خَيْرٍ وَ نَجْدُ شَرٍّ فَلاَ يَكُنْ نَجْدُ اَلشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ اَلْخَيْرِ**)) (حراني، ١٤٠٤هـ: ٤١٣). ونجد أيضًا في هذا الحقل ظاهرة التضاد (الشرق × الغرب) وظاهرة الترادف (عظة/درسًا// باغ/ معتد).

أهم الألفاظ والمفردات ومتعلقاتها الدالة على الحقل السياسي:

قتلوا	سجنوا	أبادوا	جاروا	نهبوا	صادروا	أعدموا	هدّدوا	شرّدوا	الشرق	الغرب
طاغ	باغ	معتد	الإرهاب	العنف	الظلم	الزور	القتل	التدمير	شنّ	الحرب
العراق	الصدام	الثأر	تتحرر	يثأر	درسًا	عظة	لا تعتبر	التاريخ	نمرود	فرعون
الفاشي (موسوليني)	شدّاد	النازي (هتلر)	غير حساب	بني العباس	الظلم	الطغيان	لا يدوم	يخسأ	يطفيء	يقتلون
هارون(الزمن)	لا نتقهقر	أهل البيت	أولوا الأمر	صبرنا	تحمّلنا	الهون	أولوا القربى			

النتائج:

بعد عرض النقاط التي تناولها البحث ينبغي أن نعرض أهم النتائج وهي على النحو الآتي:

بعد تدقيقنا في المعجم الشعري في ما قيل من الشعر في الإمام الكاظم عليه السلام وجدنا أن المعجم الشعري للشعراء الولائيين يدور حول خمسة حقول معجمية، وفي هذه الحقول الخمسة دارت مفردات معجمهم الشعري.

لا نرى غزل جسدي في حقل المديح وهؤلاء الشعراء لم يمدحوا الإمام عليه السلام مدحا جسديا وظاهريا بل تدور مدائحهم حول أوصافه الباطنية وشمائله النفسية وهذا يميزه مدائحهم عن مدائح سائر الشعراء الذين يمدحون السلاطين والملوك.

وجاء حقل الرثاء مليئاً بألفاظ الحزن والجراح والألم. هذه المفردات كاشفة عن عمق الجرح والألم الذي يعاني منه الشعراء الولائيون إزاء ما يمر بالإمام الكاظم عليه السلام في سجون

خلفاء العباسيين. إنّ هذه المراثي لم تكن مقتصرة على سبك العبرة وإبراز التفجّع والتألّم بل استلهم الشعراء الدروس والعِبَر من الصبر أهل البيت عليهم السلام عند المصائب وثباتهم في الحوادث والمواقف فنشروها للناس صحائف بيضاء من تاريخنا المجيد و ديننا القويم. ولقد تناول شعراؤنا قضية استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام من جوانب متعددة فمنهم اقتصر على سرد سجن الإمام الكاظم عليه السلام ومنهم مَن وصف موقف الإمام في أيام سجنه وآلامه ومنهم مَن استلهم منه العظة والعبرة ومنهم مَن تعلّم منه دروس المقاومة في سبيل المبدأ والعقيدة.

في حقل الهجاء الشعراء ينقلون لنا صورة التيه العباسي وظلام تلك الليالي الجاثي على صدور الإمام الكاظم عليه السلام والمستضعفين ويصوّرون لنا أيضًا انبثاق فجر العقيدة بنور الإمام الكاظم عليه السلام فأضاء الطريق لمن آمن به و أحرق بوهجه من تخلف عنه. إنّ الشعراء الولائيين قاموا بالمقارنة بين صفات الإمام الكاظم عليه السلام وبين رذائل أعداءه. ويتّضح لنا أنّ هذا الحقل يدخل كلّه ضمن ثنائية (الظالم والمظلوم) والشعراء الولائيون ينظرون إلى أعداء أهل البيت عليهم السلام نظرة تعجب واستغراب أحيانًا، ونظرة شزر واشمئزاز أحيانًا أخرى، فتجيش مشاعرهم بعقد مقارنة بين مزايا الصفوة من أهل البيت عليهم السلام التي خصّهم الله بها وبين أولئك ليخرجوا بنتيجة تمّت مقدماتها وهي: عدم تأهل أولئك لمنصب كبير وخطير فوجد عندنا شعر أشبه شيء به الهجاء إلّا أنّه لا يخرج عن الحقيقة إلى الخيال ولا يصل إلى حدّ الشتم والسباب، وإنّما هو تعداد للحوادث التاريخية، وإلي ما قام به أولئك من أعمال وأفعال، وما حصل لهم من مواقف، فتجد في بعضه عتابًا، وفي آخر توبيخًا، وفي ثالث نقدًا لازعًا، حسب ما يقتضيه الحال.

إنّ الدلالات المعجمية في حقل طلب الشفاعة قد ارتبطت بالتشويق إلى التوسّل بالإمام الكاظم عليه السلام ويؤمّ الناس مرقد الإمام عليه السلام لقضاء حوائجهم الدنيوية والأخروية وما حوائجهم الدنيوية إلّا طلب شفاء مرضاهم وإغناء مساكينهم وليست حوائجهم الأخروية إلّا طلب الشفاعة في يوم القيامة لكي يغفر الله تعالى ذنوبهم.

في الحقل السياسي الإمام الكاظم عليه السلام حاضر في كلّ آن ومكان يتحدّي بإيمانه جور السلاطين واستبداد الطغاة الظالمين رافعًا رأية الحقّ ضدّ الباطل ولواء الهدي في وجه الضلال مانحًا الوجودَ والحياة أسمي دروس العزّة والإباء. والإمام عليه السلام بإيمانه الصادق

واستقامته أمام خلفاء بني العباس يدرّسنا أنّ الإسلام لا يؤيد الحاكم الطاغية ولا الأمير العاتي، إنّه عليه السلام يعلّمنا كيف يكون المؤمن بربّه شجاعاً في الحق لا تُرهبه صولة الباطل ولا تخدعه زهرة الحياة عن أداء رسالة الحقّ والخير. لهذا فلابدّ لنا أن نتابع طريق الإمام عليه السلام.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

- الإربلي، على بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، قم، الناشر الشريف الرضي، ١٤٢١ هـ.
- الأصفهاني، محمد حسين، الأنوار القدسية، صححه الشيخ على النهاوندي، ط ١، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٥ هـ.
- الأمين، السيد حسن، مستدرك أعيان الشيعة، ط ١، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٨٧م.
- الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، بيروت، دار التعارف، لاتا.
- الأمين، السيد محسن، المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية، بيروت، ط ٢، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٢ م.
- البلادي البحراني، حسين على آل الشيخ سليمان، رياض المدح و الرثاء في مدح و رثاء النبي وآل بيته الأطهار، صحّحه حسن عبد الأمير محمد، ط ٣، مكتبة الحيدرية، ١٤٢٤ هـ.
- البهنساوي، حسام الدين، علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط ١، ٢٠٠٩ م.
- التونجي، محمد، معجم العلوم العربية: تخصص شمولية، أعلام، بيروت، دار الجيل، ٢٠٠٣م.
- الحراني، حسن بن شعبه، تحف العقول، قم انتشارات جامعه مدرسين حوزة علميه، ١٤٠٤ هـ.
- الحلي، السيد حيدر، ديوان السيد حيدر الحلي، تحقيق على الخاقاني، النجف الأشرف، ١٩٥٠ م.
- الخاقاني، على، شعراء الحلة أو البابليات، ط ٢، بيروت، ١٩٧٥ م.
- الخاقاني، على، شعراء الغرِيّ، قم، مكتبة آية مرعشي، ١٤٠٨ هـ.
- الخفاف، إسماعيل الحاج عبدالرحيم، الإمام الكاظم و ذراريه في التراث الشعري والتاريخي والفقهي، حققه حميد مجيد هدّو، قسم الثقافة والاعلام في العتبة الكاظمية المقدسة، لا تا.

- الخولي، محمد على. (٢٠٠١ م). علم الدلالة. الأردن: دار الفلاح للنشر والتوزيع.
- سنبل، نزار، أهل البيت في الشعر القطيفي المعاصر، بيروت، مركز الثقافي للنشر و التوزيع، ٢٠٠٣ م.
- الضامن، حاتم صالح، علم اللغة، بغداد، المكتبة الوطنية، ١٩٨٩ م.
- عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ط ٥، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٨ م.
- العمري، عبدالباقي، الترياق الفاروقي أو ديوان عبدالباقي العمري، ط ٢، النجف الأشرف، ١٩٦٤م.
- عيسى، فوزي، فوزي عيسى، رانيا، علم الدلالة بين النظرية و التطبيق، ط ١، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعة، ٢٠٠٨ م.
- الكعبي، على موسى، الإمام موسى الكاظم سيرة و تاريخ، ط ١، مركز الرسالة، ١٤٣٠ هـ.
- المرهون، على ابن الشيخ منصور، شعراء القطيف من الماضين والمعاصرين، ط ٢، مؤسسة المصطفي للتحقيق والنشر، ٢٠١٣م.
- مصطفي، إبراهيم، الزيات، أحمد حسن، عبدالقادر، حامد، النجار، محمدعلي، المعجم الوسيط، بيروت، دار الدعوة، ٢٠٠٤م.